**محاضرة بعنوان:السرد الشعبي ÷ المصطلح والمفهوم×**

تمهيد:

**يضرب ظهور السرد الشعبي في أعماق التاريخ الإنساني عامة، وفي التراث العربي على وجه الخصوص فقد تشكل في الكيان الثقافي الغربي نتيجة لمعطيات مختلفة ثقافية وتاريخية ساهمت في الذهنية العربية القديمة وروح الجماعة وهاجس الانتماء القومي للقبيلة والمعتقدات الدينية والوثنية قبل الإسلام، فتشكل ما يعرف بالسرد الشعبي أو الادب الشعبي الحكائي محاولا أن يشق طريقه ويستمر في ثقافة اتسمت بطابعها الشفوي فظهرت تلك الأنواع السردية الكبرى : الأسطورة السيرة الشعبية الحكاية الشعبية الواقعية والخرافية ، بحيث تتداخل هذه الأنواع في بعض الخصائص وتختلف في بعضها الآخر**

**مفهوم السرد الشعبي:**

أولا – مفهوم السرد:

يشير السرد إلى الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) يقدم بها الحدث إلى المتلقي، فكان السرد إذا هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي مما يعني أنه بإمكان القاص تنظيم مادته الحكائية وفق النمط الذي  يرتأيه في تنسيق الوقائع والأحداث وتوزيعها بين ثنايا نصه الإبداعي ، وبذلك يؤدي السرد مهمة تشكيل البناء الفني للحكاية، فضلا عن إضفائه الطابع الجمالي على مجمل زواياها.

وبما أن البناء الفني هو" منظومة العلاقات التي يقيمها السرد حسب العناصر الفنية، فإن ذلك ليس بمنأى عن الرأي القائل إذا كان لكل عمل فني في بنيته المتعددة المستويات من مستوى خاص به يحكمها جميعا، فان المستوى السردي هو الذي يشغل هذا الموقع في العمل الروائي وعليه فمن الممكن أن يعد السرد الأداة المميزة للفن القصصي عن باقي الفنون الأدبية الأخرى .وهكذا يتبين لنا أنه مهما تعددت آراء النقاد واختلفت أساليبهم في تحديد معنى (السرد) وبيان دوره الوظيفي في النص،إلا أنها تلتقي عند محور رئيسي قائم على التواشج المتين بين مكونين (القص) و(الحكاية)، ذلك أن معرفتنا الأخيرة لا تأتي إلا من خلال الكيفية التي تروي لنا محتواها وتصوره تصورا حيا ومؤثرا في الوقت ذاته.

إن معنى السرد يشمل كل أشكال الخطاب من قصة وحكاية ورواية و يشمل المكتوب والمنطوق والمرئي والمسموع، السرد لا يختص بثقافة معينة أو جنس من الأجناس، فهو موجود في ثقافة كل الشعوب منذ أن وجد الإنسان وفي كل المجتمعات .

إنه الكيفية التي تروي بها القصة والحكاية عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له  والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها.

عرفته المعاجم الغربية بأنه عبارة عن عرض مكون لحدث أو مجموعة أحداث حيث نجد جيرالد برنس  يعرفه في قاموسه  "السرديات" قائلا : هو ذلك الحديث أو الأخبار كمنتج وعملية وهدف عملية بنائية  المتعلق بحدث حقيقيا أو خياليا يقوم بتوصيله واحد أو  اثنين أو عدد من المروي لهم"[[1]](#footnote-2)أي أن السرد المصطلح أدبي فني هو الحكي أو القص  المباشر من طرف الكاتب أو الشخصية في الإنتاج الفني.

**2- عناصر السرد:**

 لكل عملية سردية ثلاثة عناصر أساسية التي لا يستطيع السرد أن يقوم من دونها وهي : الراوي والمروي والمروي له . فالأحداث لا تروي نفسها بنفسها بل يفترض وجود شخص يحكي وشخص يحكى له ، أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى " السارد " وطرف ثاني يدعى " المسرود له " ، فغياب أي عنصر من هذه العناصر  يحدث إخلالا في العملية التواصلية ، فقيمة العنصر الواحد لا تكتمل إلا بمزاوجته  مع بقية العناصر، ويمكن أن نتناول تسميات هذه القنوات .

-الراوي أو السارد أو المرسل.

 -المروي أو المسرود أو الرسالة.

- المروي له أو المسرود له أو المرسل له.

**- الراوي:**

هو الواسطة بين النص  المسرود والمتلقي حيث يعرفه سعيد علواش في كتابه " معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة بأنه: الشخص الذي يصنع القصة، وليس هو الكاتب بالضرورة في تقليد القصصي الأدبي ، بين الأحداث ومتلقيها وسارد الرواية وسيط فني ، يلازم ضمير المتكلم، في  الغالب".[[2]](#footnote-3)

ويعرفه عبد الله إبراهيم في كتابه " المتخيل السردي " بأنه :

" الشخص الذي يروي الحكاية وبكلام أكثر دقة، فهو الصوت غير المسموع الذي يقوم بتفصيل مادة الرواية إلى المتلقي وربما يكون الشخص مظهرا مخبرا داخل النص " [[3]](#footnote-4)

-   أي أن السارد هو المتحكم في سرد و سير أحداث النص القصصي .

**- المروي:**

 "هو كل ما يصدر عن الراوي ، و ينتظم لتشكيل مجموع من الأحداث يقترن بأشخاص ، و يؤطر في زمان ومكان ، و تعد الحكاية جوهر المروي والمركز الذي تتفاعل فيه كل العناصر حوله . "[[4]](#footnote-5)أي أن المروي هو موضوع القصة وكل ما يقدمه الراوي للمروي له.

كما أن المروي هنا يعرف بأنه: »مجموعة المواقف والأحداث المروية في الحكي؛"القصة"story »«( في مقابل الخطاب  « discourse » العلامات الموجودة في "الحكي" ، التي تقدم المواقف والأحداث المروية في مقابل السرد « adrruting » برنس982 « ) [[5]](#footnote-6).

-فالمروي هو العنصر الأساسي الذي  تتمحور حوله مجموعة من الأحداث والمواقف المقترنة بالأشخاص.

**- المروي له :**

هو الجهة المستقبلة للكلام والخطاب وفي هذا تقول ميساء سليمان الإبراهيمي في كتابها "البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة "الشخص الذي وجهه إليه المروي خطابا ، والمخاطب يمكن أن يكون غير القارئ انطلاقا من أن أي خطاب لا بد له من مخاطب."[[6]](#footnote-7)

-نستطيع القول بأن المتلقي هو الشخص الذي نروي له الحكاية والحكاية لا تكتمل إلا بوجوده .

ثالثا:

أما مصطلح **شعبي** فيرى كثير من الدارسين أن إضافة مصطلح شعبي للأدب عامة والسرد والحكي خاصة إشكالية تتعلق أساسا بمن هو هذا الشعب لأننا أمام طبقات من الشعب النخبة، الراقية، الدنيا وهذا ما يقودنا إلى إشكال آخر هو المقارنة بين ماهو شعبي وعامي وما هو رسمي.

فكلمة شعبي تشير إلى كيان اجتماعي سياسي ثقافي هو الشعب وهنا طرح الباحث بوحبيب ثلاث احتمالات:

1-أدب أنتج من اجل الشعب بصفته متلقيا للأدب.

2- أدب يتحدث عن الشعب موضوعا للأدب.

3- أدب أنتجه الشعب ذات جماعية مبدعة.

ولعل الاقتراح الثالث أنسب لمفهوم الأدب الشعبي لأن الشعب هو جماعة عضوية التي تشترك معا في تكوين الحضارة، والجماعة هي التي نشأت في الأرض الأم وترتبط بها ارتباطا قويا مما يجعلها تعيش في وحدة عضوية متماسكة وهو ما وضحته نبيلة إبراهيم في كتابها **" أشكال التعبير في الأدب الشعبي"** بقولها صفة الشعبية إنما تدل على نتاج جماعة بعينها وليس الشعب بأسره، تلك الجماعة هي الجماعة المبدعة، وانتهت إلى أن الأدب الشعبي هو الصورة النهائية التي يسفر عنها تضافر جهود فئات المجتمع من منتج ومتلقي ومفسر ومبدع.

تعددت الاتجاهات والمفاهيم التي وضعت للأدب الشعبي بتعدد الرؤى واختلاف وجهات النظر وتباين المشارب الثقافية والفكرية وتنوع المقاربات المنهجية التي جاء بها العصر الحديث، وعليه سنقف عند مجموعة من الباحثين الذين اهتموا بهذا الأدب.

عرفه محمد المرزوقي في كتابه الموسوم ب**" الأدب الشعبي" قائلا**« إن الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي استعار له الشرقيون من أوروبا كلمة فلكلور على خلاف صحة إطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبي» فالأدب الشعبي بالنسبة إلينا نحن العرب يتمثل في هذه الأغاني التي تردد في المواسم والأفراح وفي المثل السائر، وفي اللغز والنداءات المسجوعة والمنظومة على السلع ، النكتة والنادرة ، الأساطير، القصة السيرة والتمثيليات التقليدية .

وذهب الباحث عبد الحميد محمد في كتابه **المخصص للأدب الشعبي في السودان"**« إن أهم ما يميز الآداب الشعبية أنها تسيطر على الأمة فكريا وثقافيا وتشخصها تماما، فتكون كالروح فيها لذلك فإن كل أمة فقدت آدابها حق لنا أن نترحم عليها ونتقبل العزاء فيها، هي جسد خائر بلا قيمة مادامت انتكست هذه النكسة ونبذت أهم محرك فيها»

وأورد الباحث المصري أحمد رشدي صالح رأيه قائلا إن الأدب الشعبي ينبعث من عمل أجيال عديدة من البشرية من ضرورات حياتها وعلاقاتها من أفراحها وأحزانها.

أما الباحث الجزائري محمد عيلان فيقول " هو أدب الأمة الشفوي سواء أكان مجهول المؤلف أو معروف المعبر عن عواطفها وآمالها ونظرتها للحياة في شكل نصوص موروثة أو حديثة معروفة يعبر بلغة مشتركة بين أبناء الأمة الواحدة على اختلاف لهجاتهم وتعدد مناطقهم ومناخاتهم" ص44.

ارتكز المنظرون للأدب الشعبي على مجموعة من المتقابلات والثنائيات هي:

* الشفوية مقابل التدوين والكتابة.
* الجماعية والشعبية مقابل الفردية والذاتية.
* العفوية والتلقائية مقابل التكلف والصنعة.
* الشيوع الشعبي مقابل الرسمية والنخبوية.
* الثقافة الشعبية في مقابل الرقي الفكري والطابع الرسمي.
* اللغة المحلية الدارجة مقابل الفصيحة.

خلاصة القول أن السرد الشعبي المتجلي في القصص النثرية من أبرز الفنون التي تحتل الصدارة في آداب الأمم المختلفة، وهو لا يقاس بما ذكر ونشر منه بقدر ما يقاس بما كام منه جميلا ومعبرا وأخاذا .

**الخصائص العامة للسرد الشعبي:**

**سبق وأن أشرنا إلى أن هناك خصائص عامة تتداخل فيها الأنواع السردية الشعبية وهناك خصائص تخص كل نوع على حده.**

**-** اللهجة المشتركة بين جميع أفراد الشعب وهي لغة متحررة من قيود الإعراب والمعجم.

- مجهولية المؤلف في أغلب الأحيان فالمبدع الأصلي يذوب في الجماعة التي ينتمي إليها.

- التداول الشفوي مما جعل جمهوره واسع وعريض.

-التوارث عبر الأجيال، والمرونة فهو قابل للتغير حسب المواقف والظروف.

- أدواته التعبيرية الكلمة الإيقاع و الحركة والإشارة، الشخصيات المكان والزمان المطلق، والاحداث.

وبتعبير أكثر دقة ووضوحا، فإن

1. جيرالد برنس: قاموس السرديات ،تر:السيد إمام،ميرت للنشر ط1،2003، ص 191. [↑](#footnote-ref-2)
2. د.سعيد علواش :معجم المصطلحات الادبيه المعاصرة ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 111  [↑](#footnote-ref-3)
3. عبد الله ابراهيم: المتخيل السردي، مقارنات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط 1،  1990 ص  117 [↑](#footnote-ref-4)
4. عبد الله ابراهيم : موسوعة السرد العربي، قنديل  للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، ط1،  2016 ، ص   13 [↑](#footnote-ref-5)
5. جيرالد برنس: ترجمة السيد امام،قاموس السرديات ،ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة ، ط1،2003،ص120 [↑](#footnote-ref-6)
6. ميساء سليمان الابراهيم: في البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة،  منشورات الهيئة العامة السورية  للكتاب ، دمشق، ط1، 2011 ص  26 [↑](#footnote-ref-7)